مخطوط "كعبة الطائفين" لمحمد بن سليمان الصائم التلمساني (ق11هـ/17م) - تقديم ودراسة

د. قيداري قويدر، أستاذ محاضر "ب". جامعة معسكر

الملخص:

تهدف الدراسة إلى إحياء نص تراثي جزائري تلمساني من القرن 11هـ /17م يتمثل في مخطوط " كعبة الطائفين "(ج1) لمحمد بن سليمان التلمساني، والمخطوط معدود ضمن كتب التصوف والمناقب، منطلقه قصيدة شعبية صوفية نظمها شيخ المؤلف تدور حول الحب الإلهي والمديح النبوي ومناقب شيوخ التصوف، وفي سياقه شرحه للقصيدة المذكورة تعرض المؤلف لجوانب مهمة من الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية والتاريخية لتلمسان إبان الفترة التركية ،وتحديدا في القرن 17م .

Résumé :

Cette recherche vise à authentifier un texte (manuscrit) du patrimoine algérien de Tlemcen. Il s'agit d'un manuscrit de Mohammed Ibn Soleimane Altilimsani écrit au XI^{ème} siècle de l'hégire, XVII^{ème} siècle de l'ère chrétienne). Ce texte est classé parmi des ouvrages du soufisme et la littérature des manakib. Il articulé autour d'un poème populaire soufi portant sur l'amour divin, l'éloge du prophète (SBSL) ainsi que la morale et les qualités des Maîtres ou « Cheikhs » Soufis. Dans son explication du poème, l'auteur révèle d'importants aspects de la vie culturelle, politique et historique de la région de Tlemcen pendant la période ottomane XVII^{ème} siècle.

نسعد من خلال هذه الدراسة بتقديم كتاب «كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين» للإمام الشيخ محمد بن سليمان الصائم التلمساني، الملقب بـ "الجزولي" أحد مشايخ تلمسان، في القرن 11هـ/17م.

وجدير بالذكر أن منطلق كتاب «كعبة الطائفين» قصيدة شعرية شعبية صوفية، نظمها شيخ المؤلف موسى بن علي اللالتي، أحد صوفية تلمسان وشعرائها ودراويشها في القرن (11هـ/ 17م)، سماها ناظمها قصيدة " حزب العارفين"، عهد بها إلى تلميذه محمد بن سليمان وأكد عليه بكتابتها وحفظها وتدبيجها بشرح يقرب معانيها ويكشف غوامضها ويبرز جواهرها.

يمثل الكتاب اهتمام أهل تلمسان بكتابة تاريخهم ومآثر أعلامهم وتدوين ثقافتهم الصوفية وأدبهم الشعبي في فترة من فترات تاريخ الجزائر العثمانية، وتحديدا في بحر القرن (11هـ/17م) الذي اتسم عموما بالاضطراب السياسي والاجتماعي والركود العلمي، والكتاب مقسم إلى ثلاثة أجزاء ضخام، سنعكف من خلال هذا الجهد على تقديم الجزء الأول منه والتعريف به، وهو أضخم تلك الأجزاء، ويشار هاهنا أنه أمضى في تصنيف كتابه قرابة عشرين سنة.

1- النسخ المعتمدة:

عندما عزمنا على تحقيق كتاب «كعبة الطائفين» كان أول عمل قمنا به، هو البحث عن نسخه في فهارس المكتبات العربية والأجنبية، وفي هذا الصدد نشير إلى أن الدراسة التي قدمها د/ أبو القاسم سعد الله عن الكتاب، كانت منطلقنا، ووفّرت علينا جانبا من الجهد، أولا في رحلة

البحث عن نسخ المخطوط، وثانيا في معرفة قيمة بعضها، من حيث كونها كاملة أو ناقصة، انطماس الخط أو وضوحه[1].

يقول أبو القاسم سعد الله مبينا بعض نسخ كتاب " كعبة الطائفين":« سبق و أن درسنا كتاب (كعبة الطائفين) من المعلومات التي استقيناها من نسخة القاهرة، وقد ذكرنا هناك أن هذه النسخة ناقصة وبقينا نبحث عن نسخة كاملة إلى أن وجدناها في باريس، والجدير بالذكر أن للكتاب نسخة أخرى بالمغرب الأقصى لم نطّلع عليها، ولعلها أيضا كاملة ».[2]

اطّلعنا بدورنا على أربعة نسخ توجد في أربعة أماكن مختلفة، وجدناها جميعا متشابهة إلى حد بعيد في البداية[3]، وفي الأسلوب، وبعضها مختلف الرسم، ومتفاوت في الخط، من حيث رداءته ووضوحه، ومختلفة أيضا من حيث النصوص والروايات تقديما أو تأخيرا، أو حذفا بالمرّة.

النسخ المعتمدة في هذه الدراسة على الترتيب بحسب أهميتها:

1- نسخة باريـــس، رمزنا لها بحرف " أ " نسخة المكتبة الوطنية بباريس، تحت رقم: (460) بروكلمان 1009/02

2- نسخة الربـــاط، رمزنا لها بحرف " ب " توجد ضمن مجموع، تحت رقم: 1921 (د)

---

[1] – هذه المعلومات الأولية مهمة للباحث المحقق في بداية الدراسة، إذ من شأنها أن تجعله يمضي في السعي لاعتماد بعض نسخ المخطوط، أو يصرف نظره عنها، خاصة إذا وجد أنها منقولة من نسخة أخرى قد تحصل هو عليها.

[2] – فعلا، لقد أصاب أبو القاسم سعد الله في الأولى(تحققنا من نسخة باريس فوجدناها كاملة)، لكن حدسه خانه في الثانية(عاينّا نسخة الرباط فاتضح أنها ناقصة).ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، ص: 211

[3] – ثلاثة نسخ وجدناها ناقصة ومبتورة الآخر، كما سنبيّنه لاحقا.

3- نسخة القاهـرة، رمزنا لها بحرف " ج " تقع ضمن مجموع رقمه: 176668

4- نسخة الريـاض، رمزنا لها بحرف " د " مكتبة جامعة الملك سعود(قسم المخطوطات) الرياض تحت رقم: 189/ك ج، الرقم العام: 5805.

5- بعد قراءتنا تلك النسخ واستيعابنا ما فيها، قمنا بمقابلة بعضها ببعض، فاتضح لنا أن (نسخة باريس) أوفى النسخ وأكملها وأفضلها، وعليه اتخذناها أصلا قابلنا عليها النسختين الأخريين (نسختي الرباط والقاهرة)، أما (نسخة الرياض) فكنا لا نعود إليها إلاّ نادرا، كمحاولتنا إقامة بعض السقط، أو استبيان بعض الكلمات أو العبارات غير الواضحة أو المطموسة في النسخ الأخرى، نتيجة خروم أو مداد.

2- قسم التوثيق:

أ- المؤلف:

لم نعثر على ترجمة محمد بن سليمان الصائم التلمساني، في كتب التراجم التي عُدنا إليها ونقّبنا فيها [1]، غير أنه ورد اسمه مقرونا بكتابه السالف دون ترجمة في كتاب "إيضاح المكنون"[2]، ولا نكاد نعرف أحدا ترجم لمحمد بن سليمان أو حاول أن يترجم له، إذا استثنينا العمل الذي قدّمه

[1] – نورد من ذلك بعض كتب التراجم الجزائرية على سبيل المثال:– أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1 ،ج2 ، موفم للنشر ، الجزائر ،دط ، 1991.– عادل نويهض، أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط3، 1989.

[2] – ينظر: إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار احياء التراث، بيروت، دط، دت، ص: 270.

د/ أبوالقاسم سعد الله حول مخطوط "كعبة الطائفين" ومؤلِّفِه[1].

وعليه ترجمنا له اعتمادا على ما أورده المؤلف محمد بن سليمان نفسه من معلومات متناثرة في صفحات كتابه بأجزائه الثلاثة، فقد ذكر اسمه ونسبه ولقبه وتاريخ ولادته وسيرته العلمية ومسيرته...

يفيدنا المؤلف محمد بن سليمان في آخر الجزء الثالث من كتابه "كعبة الطائفين" أنه من مواليد سنة 1014هـ/1605م.[2]

ويبدو أن والد المؤلف كان يرغب في الولد، فالتمس وهو في الصحراء[3] من الولي سيدي عبد القادر بن محمد المدعو (سيدي الشيخ) [4]

---

[1] – قدم أبو القاسم سعد الله دراسة أولى عن المخطوط موسومة بـــ "كعبة الطائفين، مخطوط جزائري من القرن السابع عشر"، المجلة التاريخية المغربية، تونس، عدد7–8، جانفي 1977، ص: 61 – 68. ونفس الدراسة – تقريبا– قدمها عن المخطوط أيضا في كتابه: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص:159–175. ثم قدم ثالث دراسة عن الكتاب بعد حصوله على نسخة باريس(نسخة كاملة)، كانت بعنوان: الجديد عن كتاب "كعبة الطائفين"، في كتابه" أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص: 209–230، وفي كل الحالات فقد حاول أبو القاسم سعد الله أن يضفي أضواء على حياة محمد بن سليمان انطلاقا من مخطوطه.

[2] – محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ن أ،ج3، ص: 264.

[3] – الجنوب الغربي لبلادنا.

[4] – هو سيدي عبد القادر بن محمد بن سيدي سليمان بن أبي سماحة، المدعو سيدي الشيخ، جد أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي لبلادنا، وصاحب المنظومة المشهورة في التصوف المسماة «الياقوتة»، ومؤسس الطريقة الشيخية، ولد حوالي 1533م وتوفي سنة 1616م.

ينظر: – عبد القادر بن محمد (سيدي الشيخ)، الياقوتة في التصوف، المطبعة المركزية، وجدة، المغرب، دط، دتا، ص: 6–7–8

–Louis Rinn– Marabouts et khouan– Etude sur l'islam en Algérie, Adolf Jourdan, Librairie éditeurs–Algérie– 1884,pp. 349–351.

– Millad Aissa – Alyaquouta, Poème mystique de sidi Chikh– Essai d'édition critique et étude du texte selon la tradition Soufi entreprise nationale du livre– Alger, 1986, pp. 6–8.

الدعاء وتحقيق المراد، فكان له ما أراد، وفي هذا يقول المؤلف على لسان والده: «زرت الشيخ السماحي سيدي عبد القادر بن محمد أنا وسيدي أحمد بن عبد الغفار وهو في الصحراء، فسألته عِمَارَة الدار، فقال لي: يُعطيك اللّه ولدين يقرآن القرآن العظيم، فكان كذلك والحمد للّه».

لا ندري متى توفي المؤلف على وجه التحقيق، ولكن من خلال ما ورد في كتاب «كعبة الطائفين» من إشارات وتواريخ، نستنتج أن المؤلف محمد بن سليمان كان حيا إلى سنة 1066هـ/1656م فهذه السنة هي آخر تاريخ يذكره المؤلف في كتابه[1].

وربما يكون المؤلف قد عاش إلى أواخر القرن 11هـ/17م ، فهو يذكر ذلك صراحة في النص الآتي :«..بل لن تجد في هذا الشطر الأخير من القرن الحادي عشر إلّا العقارب واللّفاع »[2]، ربما يقصد المؤلف بالشطر الأخير، الربع الأخير، أو النصف الأخير من القرن 11هـ/17م، أي ما بعد عام 1050هـ/1640م.

ب- عنوان الكتاب:

صرح المؤلف محمد بن سليمان في مقدمة كتابه بالعنوان الذي ارتضاه لمصَنَّفِه، فقال: « سمّيته: " كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلامعلى قصيدة حزب العارفين"»[3]، وبهذه التسمية نفسها ورد هذا المخطوط في كتاب: «إيضاح المكنون» الذي سلف ذكره، غير أننا نجد المؤلف في آخر الجزء الثالث يذكر عنوانا آخر لعمله، وهو:«الديوان الجامع

---

[1] – محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، (ن أ)ج3، ص: 272

[2] – المصدر نفسه، ج1، ص:364

[3] – وهي التسمية نفسها التي تحملها النسخ الخطية التي اعتمدناها في تحقيق هذا الكتاب، ينظر مقدمات: (نسخة باريس، ونسخة الرباط ونسخة القاهرة ونسخة الرياض).

لشرحي تحليل التعقيد وتكميل التقييد »[1]، والمؤلف يصف عمله في صفحات كثيرة من كتابه بأجزائه بـ (الشرح الرشيد)، أو(الشرح المبارك)، قد تكون هذه العناوين التي أوردها المؤلف في المتن تجوزا في التعبير عن العنوان الصحيح الذي ارتضاه في مقدمته، بالاختصار أو الشرح أو التعبير بالمعنى، وأنه لم يرد بذلك حقيقة العنوان.

- فما معنى عبارة " كعبة الطائفين" ؟

لكلمة (كعبة) عدة معان، منها أن الكعبة المحور الذي تدور عليه الأشياء، ويبدو أن المؤلف أراد هذا المعنى عندما تخيّر لكتابه هذه التسمية، فكأني به أراد القول: أن كتابي هذا هو ديوان الصالحين وكعبة الطائفين، حوله يطوف الصالحون من الصوفية طلبا للحقائق الصوفية والرقائق السرمدية، ومن خمرته يرتشفون كؤوسا فيهيمون ويتمايلون وجْدا في الذات الالهية.

وهناك إشارة وردت في المخطوط تفيد أن المؤلف استمد هذه التسمية من قصيدة شيخه المسمّاة (حزب العارفين)، والقصيدة هي موضوع هذا الكتاب الذي سخّره لأجل شرح معانيها وكشف غوامضها، يقول المؤلف: « لكنه- شيخه- اختار لي أم القرى قصيدة حزب العارفين لأنها كعبة الطائفين وبهجة للعاكفين، وليس الخبر كالعيان واليقين »[2].

وقد أورد المؤلف نصا، يوضح فيه المعنى الذي كان يريده من خلال هذا العنوان الذي ارتضاه لكتابه، :« ولو لم يكن في شرحنا لهذه القصيدة إلاّ هذه المعالم الموصلة لكعبة الأسرار، لكان جديرا لمطابقة الاسم

---

[1] – ينظر: كعبة الطائفين، (ن أ)، ج3، ص: 266

[2] – محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ن أ، ج3، ص: 257

للمسمى، وابتهاج العاكفين في ذلك الحِمَى، فكيف وأوله كآخره وباطنه كظاهره »[1].

ويبدو في العنوان تناص مع الآية القرآنية التالية: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة/125]

جـ- نسبة الكتاب:

تتفق كل النسخ التي جمعناها من مكتبات مختلفة على صحة نسبة كتاب « كعبة الطائفين» إلى مؤلفه محمد بن سليمان الصائم التلمساني، الملقب بـ (الجزولي).[2]

أشار كتاب« إيضاح المكنون» إلى صحة هذه النسبة[3]، كما تحقق من ذلك أيضا د/ أبو القاسم سعد الله في دراسته التي قدمها عن المخطوط.[4]

د- تاريخ تأليف الكتاب:

صرح المؤلف نفسه في أواخر الجزء الثالث من كتابه بتاريخ فراغه من تأليفه - وهو سنة: 1054هـ، بهذه العبارة :« ووافق الفراغ من جمع هذا الشرح الثالث الرشيد- أي الجزء الثالث – الجامع لما في تحليل التعقيد

---

[1] – المصدر السابق، ج1، ص: 183

[2] – تمكنا من جمع أربعة نسخ، أشارت صراحة أنه من تأليفه، هي على الترتيب بحسب أهميتها:

1- نسخة باريس، 3- نسخة القاهرة (عليها تمليك، يفيد أنه كان بحوزة ابن العنابي المفتي الجزائري الحنبلي الذي أكّد أيضا صحة هذه النسبة)

2- نسخة الرباط، 4- نسخة الرياض،

[3] – إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، ص: 270

[4] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج3، ص: 230

وتكميل التقييد، صبيحة يوم الخميس عيد الفطر، يوم الجوائز وتوفية الأجر، سنة أربع وخمسين بعد الألف، على يد مؤلفه ».[1]

وصرح المؤلف أيضا أنه لبث في التأليف عشرين سنة: «..كمّل الله بإتمام هذا الشرح المبارك في نحو العشرين سنة..».[2]

ومعنى ذلك أن المؤلف محمد بن سليمان شرع في التأليف حوالي سنة 1034هـ/1624م، وإذا عرفنا أنه من مواليد سنة 1014هـ/1605م، أدركنا أنه شرع في عمله هذا وعمره عشرون سنة.

وجدير بالذكر أن المؤلف يذكر أيضا تاريخين متأخرين عن ذلك الذي صرح به في كتابه، الأول عند حديثه عن الوباء والجراد الذي حلّ بهم، وهو سنة 1058هـ[3]، وأما التاريخ الثاني فقد ذكره في معرض حديثه عن تأليف آخر له سنة 1066هـ[4].

3- لغة الكتاب ومنهجه:

أ.لغة الكتاب:

إذا نظرنا فيما يتصل باللغة والأسلوب، فالمخطوط يتميز بشكل خاص بطريقة السرد التقليدية التي يغلب عليها الاستطرادات الكثيرة، أما لغته فتبدو واضحة؛ لكنها بسيطة لا تخلو في بعض الأحيان من ضعف وركاكة في التعبير ومخالفة قواعد اللغة العربية، فضلا عن استعماله للكلمات العامية، وليس الأمر غريبا، فمنطلق المخطوط وموضوعه قصيدة شعبية، كما أسلفنا.

---

[1] – محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ، ن أ، ج3، ص: 267

[2] – المصدر نفسه، ج3، ص: 272

[3] – المصدر نفسه ، ج2، ص: 222

[4] – المصدر نفسه، ج3، ص: 272

وصاحب المخطوط يعكس لغة عصره وثقافة بيئته، من استعمال مفرط للمحسنات البديعية، ولو كان في ذلك تكلف، حيث تكثر ظاهرة السجع كأداة تعبير (ينظر مثلا عنوان المخطوط)، ولو أدى ذلك إلى الافراط في المترادفات دون غاية بلاغية واضحة، وأحيانا حشو مبالغ في السياقات التعبيرية بألفاظ قد لا يطلبها المعنى المنشود.

وهناك كلمات كثيرة بالعامية الجزائرية، سواء ما تعلق منها بالملبس، أو المسكن، أو المطعم والمشرب... وأشار أيضا إلى لغة زناتة، كقوله مثلا: بويراد : لغة زناتية معناها : صاحب السبع.[1]

كما تطغى المصطلحات الصوفية على المخطوط بشكل واضح، وهذا شيء طبيعي، فالمخطوط يصنف ضمن كتب التصوف والمناقب.

أ- منهج المؤلف في كتابه:

افتتح المؤلف كتابه بمقدمة نقلها حرفيا عن أبي حامد الغزالي، وردت في أحد أبواب كتابه «الإحياء»(باب المحبة والشوق والأنس والرضا) [2]، وما فعل ذلك إلاّ تبركا وتيمنا بكلام الغزالي، كما زعم[3]، ثم صرح بالتسمية التي ارتضاها لكتابه، وأشار بعد ذلك إلى الغرض من هذا التأليف.

قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أجزاء (أسفار) استمدادا من نص الحديث النبوي الشريف كما قال: « والباعث على تثليثه قوله ﷺ: «خير أمّتي أولها وآخرها، وفي وسطها الكدر، ومع هذا فقد قال: "سابقنا سابق،

---

[1]– ينظر: كعبة الطائفين، (ن أ)، ج1، ص: 595. علما أن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني الذي ينتظم في سلسلة المؤلف محمد بن سليمان كان يتكلم في الغالب بالزناتية. ينظر: محمد الحاج صادق، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ص: 85

[2]– ينظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، دط، د تا، ص: 407

[3]– ينظر: محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ن أ، ج1، ص: 05

ومقتصدنا لاحق، وظالمنا مغفور له"، ولذلك: " أرجو أمتي أن تكون ثلثي أهل الجنة"»[1].

وعليه جاءت أجزاء الكتاب على هذا النحو:

1- الجزء الأول: في ذكر أهل الصلاح؛

2- الجزء الثاني: في ذكر أهل الطلاح؛

3- الجزء الثالث: في ذكر أهل الصلاح المتحققين، "حزب العارفين"[2].

يقول المؤلف متحدثا عن مضمون هذا التثليث (الأجزاء الثلاثة للكتاب) :« لما أن فرغ الناظم رحمه الله تعالى أولا من ذكر الصحابة والتابعين، ومن التفتيش على الأولياء المتقين، وفرغ أيضا في ثاني حاله من ذكر حزب الجاهلين، كرَّ راجعا في آخره إلى طلب حزب العارفين، لأن ذلك مطلوبه ومقصوده، ولذلك وضع هذه القصيدة»[3].

يذكر المؤلف أن شيخه موسى اللالتي أوصاه بعدم الحديث عن الجزء الثاني في حضرة أبناء الدنيا، سدّا للذريعة :«ولتوبيخ الناظم فيه- الجزء الثاني- حزب الشياطين، أوصاني رحمه الله في حياته أن لا أقرأه بحضرة أبناء الدنيا سدّا للذريعة، أما اليوم فالعلّة مأمونة بعد وفاته»[4]، وربما جاء نهيه هنا لكون الناظم قد عرّض ببعض أهل الطلاح في زمانه من علماء جهلة منافقين متملّقين، اشتروا الدنيا بالآخرة، وصوفية أدعياء مغفّلين، وحكام ظلمة، وولاّة اقطاعيين مستبدّين.

---

[1]– المصدر نفسه ، ج2، ص: 226

[2] – يقول المؤلف:« لما أن فرغ الناظم رحمه الله من ذكر السلف الصالح ، عقّبه بذكر السلف الطالح، تبشيرا وتحذيرا وترغيبا في الاقتداء بالمنعم عليهم من النبيئين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا... وتنفيرا من متابعة المغضوب عليهم ولا الضالين من العلماء غير العاملين والجهلة الظالمين »، ينظر: كعبة الطائفين، ج2، ص: 01

[3] – المصدر نفسه، ج3، ص: 62

[4] – المصدر السابق، ج1، ص: 306

اعتمد المؤلف الاستطراد والاسهاب بشكل واضح في كتابه، فجاء متعدد الموضوع متشعب الكلام، وقد شهد المؤلف نفسه على هذا، مبررا ذلك كله بقوله:« ثم إني أوصي كل من طالع هذا التقييد أن ينظر فيه بعين التوحيد، ويتأمله بنية خالصة لعل الله أن ينفعنا وإياه بما فيه من حكم وأسرار وخواص، ولا يحملنّه تشعّب الكلام وكثرته على السآمة والملل، فإن العلوم النافعة لأربابها كالعسل يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه، فيه شفاء للناس، وعلى كثرة غرس الأشجار تتنوع الثمار، وليس من عرف الله بشيء قليل كمن عرفه بألف دليل »[1].

تظهر شخصية المؤلف العلمية في بعض جوانبها في صورة المحقق والمدقق الذي يتماهى مع أدوات علم التحقيق وإجراءاته وطرائقه، فقد اتّبع المؤلف أعلى طرق التحميل –بِلُغَة المحققين- في تحصيل قصيدة "حزب العارفين" موضوع هذا الكتاب: السماع والنسخ والتصحيح ثم الحفظ، كل ذلك على يد صاحب المادة، شيخه اللالتي شخصيا، يقول المؤلف في هذا الصدد :« ثم بعد اجتماعي بالناظم بنحو الشهر أتاني لداري وذهب بي إلى مسجد الرؤية، وأمرني بغلق بابيه علينا، وكتبت عليه نصف هذه القصيدة، وكنت كتبت عليه نصفها الأول بدار سكناه في العبّاد، يوم الجمعة، وصححت جميعها عليه »[2].

كان المؤلف يشير دائما إلى أن شيخه موسى اللالتي صاحب القصائد المدائحية كان موافقا لكلام العلماء والأولياء، ومتماهيا مع الذوق العام لأعلام التصوف الإسلامي، لذلك نراه يكثر في كل مرة من الأقوال والنقولات من مصادر مختلفة لتعزيز قول شيخه:« فالإمام ضامن والعهدة على

---

[1] – المصدر نفسه، ج3، ص: 251

[2] – المصدر نفسه ، ج3، ص:3

المتبوع، ونحن اقتفينا أثر الناظم، فلا نخرج عن صوب قانون كلامه ولا نخالفه في شيء، بل نوجه كلامه بما أمكن، ونكتب عليه ما يناسبه ويوافقه من نصوص الأئمة الأعلام»[1].

- يبدو المؤلف من خلال شرحه لقصيدة شيخه موسى اللالتي في كتابه هذا متأثرا بمن سبقه في هذا اللون من التأليف، ومحاكيا لهم، إن جمعا أو شرحا، وإن اختلفت الميادين نسبيا، والمؤلف عاش في عصر التصوف وعناية العلماء بالشروح والإشادة بالكرامات وسير الأولياء، وقد أشار المؤلف في صدد هذا إلى عملين، نعتقد أنهما كانا الملهمان له للقيام بهذا التأليف، وإن لم يصرح بذلك:

العمل الأول: يتمثل في كتاب «تحفة الناظر ونزهة المناظر» لمحمد الفراوسني، المعروف بالزواوي، وهو نوع من الإنتاج الصوفي يسمونه (المرائي)، يروي فيها الشخص رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم أو للصالحين، حيث تكثر فيها التوجيهات والوصايا، وتجمع بعد ذلك في كتاب أو رسالة.

أشار المؤلف محمد بن سليمان أن كتاب (تحفة الناظر) هذا، جمعه تلميذ الزواوي المذكور سماعا- ولم يسمّه- ، ثم نسخ على يديه، امتثالا لرغبة شيخه، واعتبر عمله –كعبة الطائفين- محاكاة لعمل تلميذ الشيخ الزواوي [2]. فقد جمع محمد بن سليمان أيضا قصيدة شيخه، وشرحها في كتابه «كعبة الطائفين» نزولا عند رغبة شيخه وامتثالا لتوجيهات شيخه أيضا.

---

[1] – المصدر نفسه، ج3، ص: 113

[2] – المصدر نفسه، ج3، ص: 259

العمل الثاني: وهو الذي قام به تلميذ الشيخ محمد بن سليمان الجزولي صاحب «دلائل الخيرات» عبد العزيز الحرار المعروف بـــ (التَّبـَّاع)، حيث أمره شيخه المذكور بشرح كتابه «المقامات السبع» المعروفة بـ (رحبة الأمان)، «لإظهار سر الله لأهله»[1]، وقد ساق المؤلف هذه القصة، وأشار في عدة مناسبات أنه امتثل هو أيضا أمر شيخه موسى اللالتي الذى رشحه للقيام بشرح قصيدته "حزب العارفين"، موضوع هذا الكتاب، ورغّبه في ذلك.

فيما يخص تعامل المؤلف مع النصوص المقتبسة، فقد كان حريصا على إثبات المصدر واسم مؤلفه في الغالب الأعم، وكان يثبت ذلك إما في بداية النص، أو في نهايته، وكان يشير أيضا حين ينقل النص حرفا أو معنى، بقوله:« نقلته بالمعنى أو بالحرف».

عند اعتماده على بعض المعلومات الشخصية (الميدانية)، كان يشير إلى ذلك بقوله:

- أخبرني من أثق به - أفادني الشيخ - حدثني سيدي - صح عندي بالثقة والرؤية

عند ذكره للأعلام سواء التي نقل عنها أو ترجم لها، كان يميز بينها من خلال الألقاب التي يصبغها عليها، فإذا ذكر شخصية غلب عليها العلم والفقه، يمنحها مثل هذه الألقاب: الفقيه، النبيه، الأديب، الأستاذ، وإن ذكر شخصية غلب عليها التصوف والاشتغال بأحوال النفس، يمنحها ألقاب مثل: الشيخ، المجذوب، صاحب الأحوال.

كان المؤلف يشير إلى بعض الرسائل الخطية والتقاييد العائلية التي اطلع عليها، وإلى بعض النسخ الخطية التي نقل عنها (إمّا بخط مؤلفها المباشر أو بخطٍّ نقل عن النسخة الأصلية)، وهذا توثيق له أهميته في ميدان

[1] – المصدر السابق، (ن أ)، ج3، ص: 15

"تحقيق النصوص"، حيث يصبح كتاب «كعبة الطائفين» مصدرا مهما في إثبات النصوص القديمة وتحقيقها، وإعادة بعثها من جديد[1].

يبدو لنا المؤلف من خلال كتابه بشخصيتين، شخصية الصوفي المعتدل المتحرر، المتصدّي للتصوف الخرافي الساذج، المنتقد لسلوكيات مجتمعه(من جهل وطمع وخصومات واستغلال)، وشخصية أخرى تسهب في الحكايات الأسطورية وتخلطها بالكرامات المعقولة، وتكثر من المرائي(يحتفظ الكتاب بحظ وافر منها)، ولو أن هذه الظواهر لها ما يبررها في عصر كثرت فيه الطرق الصوفية، وعمّ فيه التصوف الحقيقي والمزيف، وكان يشهد ترديا على أكثر من صعيد.

- حينما كان المؤلف يقدم خلاصة عن موضوع ما، أو كلمة جامعة عن فصل ما، أو فائدة، كان يسجل ذلك تحت عنوان، يسميه: فائدة أو بيان أو استبصار أو تنبيه...

- اتسمت شروحات المؤلف في بعض جوانبها بالبساطة، ولتعزيز شرحه وتدعيمه في سياق إبراز المعنى المراد من كلام الناظم، كان كثير الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي، والأمثال الفصيحة والشعبية، والحكايات والمرائي.

- كان المؤلف يذكر بيتا أو مقطعا أو عبارة من النص الشعري لقصيدة شيخه، ثم يسترسل في الشرح، مدعما أقواله- كما ذكرنا- بأقوال السابقين من الصوفية والعلماء.

---

[1] – في هذه الحالات كان المؤلف يشير بعبارات مثل: (..انتهى، من خط نقل عن خط الونشريسي)،(.. ومما نقل من خط الشيخ السنوسي)، ينظر: محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، (ن أ)، ج3، ص: 187-191

- المؤلف كان أحيانا لا يكتفي بنقل الأقوال واقتباس النصوص، بل يحاول الترجيح والمفاضلة بينها، وقد أظهر اطلاعا واسعا على أمهات الكتب الصوفية والفقهية...

❖ يسير المؤلف في شرح قصائد شيخه بيتا بيتا أو مقطعا مقطعا أو كلمة كلمة، ويطيل شرحه، فهو ينهج نهج طريقة شرح المتون، ويمكننا تقسيم شرحه من الناحية الفنية إلى ثلاثة أقسام:

- قسم التفسير اللفظي،
- قسم التفسير الأدبي،
- قسم التأويل الصوفي لتلك النصوص الشعرية الشعبية، وهو قطب الرحى الذي يدور حوله الكتاب.

1- مضمـــون الكتـــاب وقيمته ومصادره:

أ- مضمون الكتاب:

الكتاب كله يدور حول قصيدة الشيخ اللالتي الموسومة "حزب العارفين"، إلاّ أن المؤلف محمد بن سليمان في أثناء شرحه تميز بطول النفس والإسهاب، وتواصل مع كثير من العلوم، فبالإضافة إلى موضوع التصوف الأساسي، أورد مسائل عقيدية، ومسائل من علم الكلام، ومسائل من السيرة النبوية، والفقه، والفلك والتنجيم وأسرار الحروف، والنوادر والأساطير...

وأشار إلى كثير من الأحداث التاريخية، المحلية وغير المحلية، كما تعرض إلى الأنساب، سواء ما تعلق منه بالأعلام أو القبائل أو الشعوب، وأورد تراجم كثيرة؛ فقد ترجم لأربعين رجلا من الأخيار العارفين بالله، كما قال.

قيمة الكتاب:

من حيث قيمة المخطوط وأهميته، يتضح لنا مما سبق أن هذا المخطوط ينقسم إلى قسمين:

- قسم يبدو أن المؤلف لم يأتي فيه بجديد، فهو عبارة عن حشد هائل لنصوص وأقوال واقتباسات لمن سبقه من العلماء والصوفية والفقهاء، إلى حد الاستطراد الثقيل، أورد كلامهم في سياق شرحه لقصيدة شيخه موسى اللالتي الموسومة «حزب العارفين»، وتعزيزا لما تتضمّنه من رقائق وحقائق، وآراء آمن بها ناظمها.

- وقسم سجل فيه المؤلف مشاهداته واحتكاكه بالأولياء والصلحاء بتلمسان وغيرها من المناطق، ورصد فيه بعض آرائه فيما يخص القضايا التي عاصرها، والأحداث التي عايشها، وهذا القسم في نظرنا هو الذي يعطي للمخطوط أهميته.

وعليه نقول أن لكتاب «كعبة الطائفين» قيمة كبيرة تتجلى أهم مظاهرها فيما يلي:

- **الجوانب التاريخية والسياسية:**

الكتاب مصدر من المصادر المهمة في تاريخ الجزائر بعامة والمجتمع التلمساني بخاصة، تردد ذكره في كتاب «تاريخ الجزائر الثقافي»(ج1)، و«آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر» لأبي القاسم سعد الله كمصدر أساسي عديد المرات، وجاء «كعبة الطائفين» ليغطي فترة دقيقة من تاريخنا، تعد في نفس الوقت فقيرة من حيث المصادر التاريخية، مما يكسبه أهمية خاصة:

- إشارة الكتاب إلى فتنتين (ثورتين) بين أهالي تلمسان والسلطة التركية، وقعت الأولى سنة 1035هـ، والثانية كانت بعدها بسنتين1037هـ.

- يطلعنا الكتاب عن العلاقات بين المغرب والسلطة التركية في الجزائر بشكل غير مباشر، من خلال حديثه عن أحداث ثورة عام 1037هـ، والتي

كان زعيمها محمد بن أحمد السوسي، الذي كان يعمل لصالح المغرب، كما أشار المؤلف[1].

- الإشارة إلى وقوع وهران تحت الاحتلال الاسباني، في كثير من المرات، حيث كان في كل مرة يذكر فيها وهران يدعو بهذه العبارة: "وهران أعادها الله للإيمان".

- الإشارة إلى عديد المعارك (الغزوات كما يسميها) التي شارك فيها المؤلف رفقة والده والشيخ العبدلي وبعض الصلحاء لتحرير وهران من قيد الاسبان.

- أخباره وإشاراته الكثيرة عن صعوبة الأوضاع، وحالة الاضطرابات السياسية في تلمسان أثناء ق 17م.

- من الأحداث التي أشار إليها المؤلف، ذلك الوباء الذي أصاب أهالي تلمسان سنة 1058هـ/1648م والذي تسبب في موت عدد من العلماء، ذكر بعضهم، يقول في هذا السياق:« نذكر من فقدناه من الأخلاَّء العلماء بالوباء سنة ثمان وخمسين»[2].

وأشار أيضا إلى اكتساح الجراد وإفساده للحرث والبذر[3].

«كعبة الطائفين»كتاب تراجم ومناقب بامتياز، فقد أرّخ لعدد لا يستهان به من علماء تلمسان وصلحائها ، ومناطق أخرى من الجزائر و خارجها

---

[1] – أشار إلى ثورة محمد بن أحمد السوسي المغربي أيضا عبد الكريم الفكون في كتابه «منشور الهداية"، ينظر: أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986، ص: 17.وذكر هذه الثورة أيضا ابن المفتي حسين بن رجب شاوش في كتابه: "تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها"، دراسة وتحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص: 48

[2] – محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، (ن أ)، ج2، ص:197

[3] – المصدر نفسه، ص: 197

في ق17م[1]، أدركهم المؤلف نفسه، أو أدرك بعض من صاحبهم، أو تتلمذ عليهم، أو أدرك ذويهم، أو جالسهم المؤلف ولازمهم في الحضر، أو شايعهم الطريق في السفر، حيث وصف أحوالهم ومقامهم في العلم والصلاح.

من محاسن الكتاب في الجانب المتعلق بالتراجم، الدقة والضبط في تحديد تواريخ بعض هؤلاء الأعلام، كلما كان متاحا للمؤلف، عكس ما نجده في كثير من كتب التراجم، حيث تطغى ظاهرة التقريب، معتذرين بقلة اعتناء الناس بضبط التواريخ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ذكر المؤلف أسانيد علمية وطرقية لكثير من هؤلاء الأعلام، خاصة من ينتسب منهم إلى الطريقة الشاذلية، مما يجعله مصدرا في تحقيق أسانيدهم.

- **الجوانب الاجتماعية والأنثروبولوجية:**

لقد حفظ لنا الكتاب صورة المجتمع التلمساني بإيجابياته وسلبياته، وبعض عوائده، وأسلوب حياة الناس وتقاليدهم، وشيئا من لهجتهم في تلك الحقبة (ق17م)، وسجل لنا مدى ارتباطهم بأوليائهم وعلمائهم:

- أشار المؤلف إلى عاداتهم في المأكل والملبس وكثرة زياراتهم لأضرحة الصالحين طلبا للتبرك.

- الكتاب يتضمن معلومات عن أحوال الناس والأوضاع العامة بتلمسان في ق17م[2].

- أطلعنا الكتاب على الدور الذي كان يضطلع به بعض شيوخ التصوف في تلمسان في مجال التكافل الاجتماعي وإطعام الناس والتخفيف من

---

[1] – فإذا كان ابن مريم صاحب "البستان" قد غطى في ترجمته لأعلام تلمسان فترة طويلة امتدّت إلى عهد المؤلف نفسه (ق16م)، فإن "كعبة الطائفين" يكمل بدوره المسيرة والمسار ليغطّي عصره أيضا، أي (ق17). وأودّ الاشارة في هذا المقام إلى أنني بيّضت صفحات، سأنشرها –إنشاء الله– في شكل كتاب تراجم بعنوان: أعلام تلمسان في(ق17م) من خلال كتاب"كعبة الطائفين".

[2] – محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ن أ، ج1، ص: 366

معاناتهم، وجمع الكلمة وإصلاح ذات البين، وأفادنا بأسماء بعض الزوايا والمقامات وبدورها الديني والاجتماعي.

- **الجوانب الدينية والثقافية:**

يقدم كتاب «كعبة الطائفين» مادة مهمة وغنية للباحثين في مجال الحركة الثقافية والصوفية، في هذه المرحلة التي عاش فيها المؤلف محمد بن سليمان (ق17م):

- يزوّدنا الكتاب بمعلومات عن طبيعة النشاط العلمي والديني بمدينة تلمسان، ودور المؤسسات الدينية والتعليمية بها، كإشارته الكثيرة إلى بعض المساجد والزوايا كفضاء للعلم والذكر والعبادة، يلتقي فيه الفقهاء والفقراء على حد سواء، في مجالس إقراء يتدارسون المصنفات الفقهية والصوفية، ويترنّمون بالرقائق الصوفية في حلقات الحضرة (السماع الصوفي) التي كانوا يمارسونها بشكل دوري كإحدى أبرز الطقوس الصوفية.

- المؤلف يزودنا بمعلومات عن ألوان من السجال العلمي في حياته، كنقاش العلماء وحوارهم في بعض المسائل العلمية بالجامع الأعظم(الجامع الكبير)، من ذلك حديثهم عن ظاهرة الانتحال والدّس في كتب العلماء.

- إشارته إلى بعض المساجلات العلمية بين الصوفية، كتلك التي كانت بين سيدي عبد القادر بن محمد، المدعو(سيدي الشيخ) مؤسس الطريقة الشيخية وصاحب"الياقوتة في التصوف" وابن أبي مَحَلّي(أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي، صاحب كتاب «الإصليت»«ومنجنيق الصخور، لهدم

بناء شيخ الغرور، ورأس الفجور»[1]، ويبدو أن الكتابين الأخيرين، والياقوتة في التصوف- السالفة الذكر- ، هي من مظاهر هذا السجال.

- ذكر المؤلف انتشار ظاهرة الألغاز العلمية والفقهية(المعايات كما يسميها المؤلف) بين الأئمة والمريدين في مساجد تلمسان.

- يطلعنا عن أسماء بعض الكتب المؤلفة في عصره، حيث نسب مثلا إلى شيخه سيدي بلقاسم الدارجي كتابا سمّاه "الحقائق"، نقل منه محمد بن سليمان بعضا من كلام شيخه، ويبدو أنه كان شرحا لعقائد السنوسي.

- احتفظ كتاب «كعبة الطائفين» بأسماء علماء وصوفية تلمسانيين، وجزائريين، ومغاربة (من وجدة وفاس تحديدا) ساهموا بدورهم في الحركة الصوفية والعلمية بالمدينة، ومارسوا مهاما تعليمية ودينية بها، مثل التدريس والخطابة والفتيا، والتربية الصوفية.

- كما يطلعنا الكتاب على أسماء كثير من المصادر الفقهية والصوفية والتاريخية المتداولة بين طلبة العلم والمشايخ في تلمسان، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يفيدنا ببعض الكتب التي يبدو أنها في حكم المفقود، أو النادر.

- يخبرنا الكتاب عن طبيعة التربية الصوفية والتنشئة العلمية، وما يمكن أن نسمّيه (الكتب المقررة) التي كان يتدارسها طلبة العلم ويتبارون حولها في تلمسان وبعض حواضر العلم في بلادنا.

---

[1] – وصلت هذه السجالات العلمية بين الشيخين إلى حدّ الخصومة، ذكرتها العديد من المصادر، ينظر حول بعض مظاهرها مثلا كتاب: بن علي محمد بوزيان، واحة فجيج تاريخ وأعلام، (د دار النشر) المغرب، ط1، 1987، ص: 66–78–79 .وحول ابن أبي مَحَلِّي، يراجع: محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع، تحقيق: عبد الحي العمروي، وعبد الكريم مراد، المغرب, ط1، 1994، هامش ص: 36

- **الجوانب العمرانية:**

يقدم لنا كتاب «كعبة الطائفين» صورة واضحة عن تلمسان من حيث جوانبها العمرانية في(ق17م)، فالمؤلف جاب مختلف زقاق المدينة ودروبها، ومختلف المساجد والمقامات والزوايا والأضرحة والمقابر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يفيدنا بمعلومات ووصف للجهات التي زارها خارج تلمسان: مستغانم، غليزان(قرية مجاجة وزاويتها)، ولهاصة(جامع سيدي يعقوب الحاج)، الصحراء(يقصد بها الجنوب الغربي لبلادنا)،كما أورد المؤلف وصفا ومعلومات عن بعض المدن الجزائرية الأخرى، وإن لم يذكر أنه زارها (قسنطينة، عنابة، أدرار، توات،.)، وزار أيضا جهات من خارج الوطن(فجيج- زاوية العبيد- ، وجدة) بالمغرب.[1]

- ذكر المؤلف حرم أبي مدين بالعباد، أين كان يتدارس فيه بمعية شيوخه وبعض الفقراء(المريدين) المصنفات الفقهية والصوفية، وحرم سيدي الحلوي، وزاوية سيدي أحمد العبدون بأوزيدان، أين التقى المؤلف شيخه موسى اللالتي.

- كما أشار المؤلف إلى مساجد كثيرة في تلمسان ونواحيها.

- أشار المؤلف إلى أضرحة ومقابر ومقامات كثيرة، حيث أشار إلى مقبرة سيدي السنوسي، وعيّن بشكل دقيق قبر شيخه اللالتي الذي لا يبعد كثيرا عن ضريح الشيخ السنوسي نفسه - كما أسلفنا- ، وذكر مقبرة أجادير، وأشار أيضا إلى مقبرة بالقرب من باب الجياد، يبدو أنها اندرست الآن، وأصبحت أثرا بعد عين.

[1] – كان المؤلف يزور تلك المدن إما طلبا للعلم أو سعيا وراء الصلحاء لنيل الحكمة والبركة، أو للجهاد(ثغور وهران)، أو لأغراض تجارية،.

- ذكر المؤلف قلعة المشور بوسط تلمسان باعتبارها مركزا للإمارة والحكم.

الجوانب الأدبيـــة:

يحتفظ لنا المخطوط بسجل حي وضخم لتراثنا الشفوي (الأدب الشعبي) في ق17م، وإن لم يكن من بين مزاياه إلاّ هذه المزية(حفظ ذاكرتنا الشعبية) لكفاه ذلك أهمية وقيمة.

- يمكن للباحث أن يستخرج من الكتاب قصائد، بل دواوين في الشعر الشعبي الصوفي، وفي شعر المناقب:

1- شعر الشيخ موسى اللالتي، صاحب قصيدة "حزب العارفين" موضوع الكتاب.

2_ شعر المؤلف محمد بن سليمان (الفصيح منه والشعبي).

3_ شعر كثير من العلماء والصلحاء بتلمسان، الذين احتك بهم المؤلف مباشرة أو عن واسطة.

يقول المؤلف مبينا شرف قصائد شيخه موسى اللاّلتي: « فإنها من أعظم الذكر و السماع، وقصائده ﷺ كلٌّ في بابها ترياق لصاحبها، إلاّ من عدم الذوق والشم، فلا يكشف عن نقابها».[1]

بالإضافة إلى قصيدة "حزب العارفين"، موضوع الكتاب الذي نحن بصدده، والتي سمّاها الشيخ موسى اللالتي "أم القرى" و"كعبة الطائفين"، أورد له المؤلف قصائد كثيرة موزعة على أجزاء الكتاب الثلاثة :« وما بقي من قصائده العديدة أكثر ممّا ذكرنا» على حدّ قول المؤلف.[2]

---

[1] – المصدر السابق، ص: 184

[2] – المصدر نفسه، ص: 257

وفيما يخص الشعر الشعبي الجزائري، وهو الباب الذي تنضوي تحته قصيدة "حزب العارفين " موضوع الكتاب، فقد كثر في هذا العصر الشعر الديني بشكل خاص، ولا سيما منه مدح النبيﷺ، والتشوق إلى زيارة قبره وإحياء مولده، ويشمل قطاع واسع منه الشعر الشعبي ذي النزعة الصوفية، ومدح ورثاء الأولياء الصالحين(شعر المناقب).

وكانت غلبة الشعر الشعبي بشكل عام واضحة في هذا العصر، يقول أحمد سحنون في هذا السياق:« اعلم يا أخي أن الألسنة غلبت عليها العُجمة، وارتفع منها سرّ الحكمة، فصار الناس إنما يتغنّون بالملحون- الشعبي- وبه يهجون ويمدحون، ولهم في ذلك فنون رقيقة ومعاني رشيقة».[1]

وقد اضطرّ عبد الرحمن الجامعي المغربي في شرحه على رجز الحلفاوي في فتح وهران إلى الاستشهاد بالشعر الملحون، وبرّر ذلك بأنّ المعنى يتوقف عليه، وأن الشعراء قد قالوا شعرا كثيرا ملحونا في هذه المناسبة:« ثم إنه ما في ذلك من بأس، فإنه في هذا القطر- الجزائر- أساس الكثير من الناس».[2]

يقول أبو القاسم سعد الله:« حقا أن الشعر الشعبي قد سجل كثيرا من الحوادث السياسية والعسكرية، كما كان سجلاً للنبض الاجتماعي والاقتصادي في البلاد، وبذلك يمكن القول من الناحية التاريخية أنه كان أشمل وأقرب إلى الحقيقة من الشعر الفنّي- الفصيح- ، فبينما كان الشعر الفنّي شعر بلاط أو شعر نفس مهزومة أو شعر مدائح نبوية ونحوها، كان الشعر الشعبي يدوّن ما يجري في جميع المستويات»[3].

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،(2)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1998 ص: 242

[2] – المرجع نفسه، ص: 243

[3] – المرجع السابق، ص: 312

ويمثل كتاب « كعبة الطائفين» في هذا الباب سجلاً حيًّا لمدوّنة كبرى في الشعر الشعبي الجزائري، فرغم أنّ باعثه قصيدة شعبية صوفية، إلاّ أن الباحث يمكن أن يستخرج منه عددا من الأغراض، منها ما يتعلّق بهجومات الأجانب على الجزائر والانتصار عليهم[1]، وحالة السكان الاقتصادية، والنكبات الطبيعية، وأحوال التصوف والمتصوفين.

- في الكتاب جانبا مهما من الأمثال الشعبية، وهذا اللون له أهميته في الأدب الشعبي، فهو يركز بصورة واضحة على السلوك الانساني في مواقفه المختلفة، مما يتيح للباحث فهم طبيعة المجتمع ونفسيته وثقافته ونظرته للأشياء.

- في جنبات الكتاب كثير من الحكايات الشعبية الصوفية(كرامات، مرائي، أساطير،.)، وهي من ميراث الذاكرة الصوفية الجزائرية، وهي أيضا ذات مقاصد تصب كلها في "أدب السلوك" كما رسمه شيوخ التصوف، ومن هنا تبرز لنا أهميتها، يقول عبد الرحمن الملحوني: هذه الحكايات الشعبية الصوفية جزء من ترسيمات المتصوفة لكثير من العادات والتقاليد في أذهان العامة، بل هي ترسيم لمجموعة من المبادئ في سلوكهم ومعتقداتهم، والحكايات حاجة فكرية وثقافية يستوعبها في سهولة ويسر عقل المريد والتابع.[2]

---

[1] – حقا إن النزاع بين الجزائر وإسبانيا من جهة، وبينهم وبين الأتراك من جهة أخرى، كان باعثا لعدد من الشعراء للاستنفار والدعوة للجهاد ضد الإسبان، وتمجيد انتصارات الجزائريين، ومن ناحية أخرى التصدّي لجور الأتراك وظلمهم، وهو باعث سياسي وطني.

[2] – ينظر: عبد الرحمن الملحوني، الحكايات الشعبية الصوفية، ج2، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2000، ص: 03

هذه الحكايات الشعبية مادة دسمة للباحثين الجزائريين المهتمين بالنواحي الأدبية[1]، أو بالجوانب الميتولوجية والأنثروبولوجية، إحياء لتراثنا أولا وتحقيقا له ثانيا.

ب- مصادر الكتاب:

اعتمد المؤلف في تدوين مادة كتابه (في جزئه الأول) على قائمة متنوعة من المصادر، بعضها كان معاصرا لها أو قريبا منها زمنيا، ناهيك عن مصادره الشفوية.[2]

أورد كذلك مادة لا بأس بها من الأوراد الشاذلية بصفة خاصة[3]، والأذكار والأحزاب الصوفية بصفة عامة، وقد نالت كتب التصوف عموما حصة الأسد في مصادر المؤلف، ولعل أهم مصادره، نصنّفها فيما يلي:

كتب التصوف،كتب الفقه والحديث والتفسير، علم الكلام، كتب تهتم بتاريخ الدول والسلالات، كتب التراجم والمناقب، كتب تهتم بالتنجيم وأسرار الحروف والجداول، وثائق اطلع عليها المؤلف (رسائل وتقاييد).

أفصح المؤلف في كتابه عن استحسانه، بل افتتانه بكثير من هذه المصنفات، حيث كان يثني عليها صراحة، وينصح بقراءتها، كما كان يعتبرها مصادر أساسية في كتابه، وفي هذا الصدد أشاد كثيرا بكتاب

---

[1] على غرار ما قام به بعض الباحثين المغاربة، حين درسوا مجموعة من النصوص الشعبية الكراماتية التي تضمّنها كتاب(التشوف إلى رجال التصوف) لابن الزيات، عن طريق استثمار الأدوات الإجرائية التي تتيحها السيميائية السردية.ينظر: حسن مسكين، الكرامات الصوفية المغربية، جذور للنشر، الرباط، ط1، 2006.

[2] ساق المؤلف كثيرا من الروايات الشفوية، خاصة حول الفترة التي عاصرها(ق17م)، وهذه الروايات لا تتعلق فقط بأحوال تلمسان وصلحائها بل بمناطق أخرى من الجزائر، خصوصا غربها وجنوبها الغربي.

[3] ربما لكون المؤلف من أتباع الطريق الشاذلية.

«الإحياء» [1]للغزالي، وكتاب «الشِّعب» للقصدي، وكتب القوم (الصوفية) بشكل عام، منها : «قوعد التصوف» لأحمد زروق، «قوت القلوب» لأبي طالب المكي،«قطب العارفين» للجائي، كتب ابن عربي، والمحاسبي، القشيري، ابن عطاء الله السكندري، واجمالا يعتبر المؤلف أن كتابه حوى جل ما في كتب القوم من فوائد وحكم[2].

كما أشاد المؤلف بكثير من الكتب المحلية، ووظفها كمصادر في كتابه، واعتبر بعضها أساسا في السلوك وتزكية النفس، من ذلك: «كتاب السلوك» لأبي عبد الله الساحلي، «مختصر كتاب السلوك» للخروبي، «وجيز كتاب السلوك» للسنوسي، «روض المحاسن» للسنوسي.

المصادر والمراجع:

1. محمد بن سليمان، كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين، (ن أ) ج1 ، ج2،ج3 .

2. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي(2)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1998.

3. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

4. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

---

[1] – يشير المؤلف إلى كثير من الكرامات التي حدثت له، أو وقعت أمامه، وكان موضوعها كتاب "الإحياء"، ينظر: كعبة الطائفين، ن أ، ج2، ص: 10

[2] – اعتبر د/ محمد مفتاح في سياق حديثه عن منازل بعض المؤلفات الصوفية في الغرب الاسلامي، أن من أهم تلك المؤلفات التي كان لها تأثير كبير في كل العصور، وصارت مضرب الأمثال، وأصبح مضمونها مقتدى به ومهتدى، هي: الرسالة القشيرية، قوت القلوب، التحبير في التذكير للمحاسبي، الإحياء للغزالي، ينظر: محمد مفتاح، الخطاب الصوفي مقاربة وظيفية، مكتبة الرشاد، ط1، 1997، ص:97،98.

5. سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986

7. الحفناوي أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج1 ،ج2 ، موفم للنشر ، الجزائر ،دط ، 1991.

8. نويهض عادل، أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط3، 1989.

9. إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث، بيروت، دط، دت.

10. (سيدي الشيخ) عبد القادر بن محمد، الياقوتة في التصوف، المطبعة المركزية، وجدة، المغرب، دط، دتا

11. الحاج صادق محمد، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دتا.

12. ابن المفتي حسين بن رجب شاوش "تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها"، دراسة وتحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009

13. الملحوني عبد الرحمن، الحكايات الشعبية الصوفية، ج2، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2000.

14. حسن مسكين، الكرامات الصوفية المغربية، جذور للنشر، الرباط، ط1، 2006.

15. مفتاح محمد، الخطاب الصوفي مقاربة وظيفية، مكتبة الرشاد، ط1، 1997.

16. المجلة التاريخية المغربية، تونس، عدد7- 8، جانفي 1977.

17. بوزيان بن علي محمد ، واحة فجيج تاريخ وأعلام، (د دار النشر) المغرب، ط1، 1987

18. محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع، تحقيق: عبد الحي العمروي، وعبد الكريم مراد، المغرب, ط1، 1994.

19. Louis Rinn- Marabouts et khouan- Etude sur l'islam en Algérie, Adolf Jourdan, Librairie éditeurs-Algérie- 1884

20. Millad Aissa – Alyaquouta, Poème mystique de sidi Chikh- Essai d'édition critique et étude du texte selon la tradition Soufi entreprise nationale du livre- Alger,